

من الأجناس، أو لإبراز البعد الشمولي تعدد لنا أجناسا موجودة، دون أن تضعها في نطاق التصور المنطلق<sup>(4)</sup>.

2. إن هذه النظريات تظل حائرة بين النزوع النظري التجريدي، وبين ما يقدمه النص. ولذلك بدأنا نجد في الآونة الأخيرة اهتماما متزايدا بـ«النص» كمجال امبريقي أو اختباري للاشتغال<sup>(5)</sup>.

3. يدفع القصور في الشمول، أو تعدد الأجناس، أو الحيرة بين الجنس والنص إلى التشكيك في احتمال وجود نظرية ما للأجناس، والحكم عليها لأنها معرضة دائما للنقصان، وتقديم فكرة مفادها بلا فائدة هذه النظرية<sup>(6)</sup>، أو اقتراح تصور يؤمن بأن أي جنس ليس سوى توسيع لجنس في الماضي<sup>(7)</sup>.

أمام هذه القضايا الكبرى التي ظلت مثار الحوار أو السجال بين المشتغلين بنظرية الأجناس تأتي العديد من المحاولات التوفيقية التي تخلق بدورها مشاكل جديدة. لذلك بدأنا نجد في الآونة الأخيرة ميلا أشد نحو البحث في أجناس بعينها تاريخيا، أو في حقبة محددة، وذلك بهدف تجاوز الخوض في المشاكل الكبرى المثارة دائما، وإلقاء الأضواء المناسبة على تشكل جنس وتطوره مع الكشف عن خصوصياته وتفاعلاته.

2.1.4. إحساسا منا بمختلف هذه المشاكل والقضايا نسعى في تصورنا هذا إلى التفكير في مسألة الأجناس بنوع من المرونة، سواء على مستوى التصنيف أو التحليل، ونعطي للتفكير فيها بعدا منفتحا على ما يمكن أن يقدمه لنا «النص» وبذلك نحقق نوعا من التفاعل بين «الجنس» و«النص». فلا يمكن لنظرية الأجناس أن تستوي علما مكتملا ومنتهايا بانغلاقها دون النص، ودون ما يمكن أن يقدمه لها من احتمالات للتطور والإغناء. ويبدو لي في هذا النطاق أن المشاكل التي أومأنا إليها أعلاه وليدة موقف أو رؤية ما من هذه العلاقة. ولو أردنا إعادة صياغتها على نحو آخر، لتساءلنا: من أية وجهة ننظر إلى الأجناس/ هل من وجهة نظر «العالم» الذي يسعى إلى الإمساك بالبنيات الكلية المجردة؟ أم من وجهة نظر الناقد الذي يتعامل مع بنيات كائنة ولملموسة؟ ويبدو لي أن تاريخ البحث في الأجناس عند العرب أو عند الغرب هو تاريخ اشتغال كل من العالم أو الناقد بالأجناس. فعندما يهيمن الأول نكون أمام تصورات أو تصنيفات مختلفة عندما يهيمن الثاني.